نشوان زيد علي عنتر
أحداثنا وأحفادهم

أجدادنا و أحفادهم

(مقالات)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٥م

مانع الصواعق

كنا نعتقد فيما مضى و وفقا لمطالعتنا الدائمة للكتب العلمية التي بحوزتنا منذ نعومة أظافرنا حتى وقتنا الحاضر بأن جهاز مانع الصواعق إختراع غربي بحت ظهر إلى النور عبر الفيلسوف و العالم الأمريكي بنيامين فرانكلين أواخر القرن السابع عشر الميلادي قبل أن نكتشف قبل شهر و نصف بأن أجدادنا اليمنيين القدماء قد سبقوه في إختراع هذا الجهاز الفريد من نوعه بعدة قرون كما تؤكد الآثار المتعلقة به في قلعتي القاهرة الواقعتين على رؤوس و قمم جبال تعز و حجة و قام ببنائهما السلطان علي بن محمد الصليحي (١٠١٢-١٠٨١م) عام ١٠٣٠م وفقا لأساليب البناء و الهندسة المعمارية المتوارثة من أجداده الحميريين القدماء (١١٥ ق.م - ٥٢٥م/٥٧٣-٥٩٥م) و من بينها جهاز مانع الصواعق لحمايتهما من البروق و الصواعق الرعدية الناتجة من السحب و الغيوم المحيطة بهما من كل حدب و صوب حيث كان عبارة عن سلك معدني سميك يمتد من أعلى نقطة في القلعة حتى قعر بئر داخلها يمتص شحناتها الموجبة بشكل لا يشكل خطرا داهما على السكان مما يؤكد لنا أن أجدادنا القدماء كانوا بارعين في علوم الفيزياء و الرياضيات و الهندسة و

الجغرافيا و لا سيما فيما يتعلق بنظرية التجاذب و التنافر الكهربائي و كيفية التعامل مع الشحنات السالبة و الموجبة و التمدد بالحرارة و الإنكماش بالبرودة عبر طريقة التوصيل لدى المعادن و الحمل لدى السوائل و دور قمم الجبال المرتفعة في هطول الأمطار الغزيرة و الصواعق الرعدية و الثلوج الكثيفة و تكوين السحب و الغيوم الحاضنة لها عن طريق إصطدام التيارات الهوائية الساخنة و الباردة بها وفق حسابات رياضية دقيقة عكس أحفادهم الطلاب في وقتنا الحاضر الفاشلون في الرياضيات و الهندسة و العلوم الأخرى بإمتياز حيث لا يعرفون الجمع و الطرح و الضرب و القسمة و لا يعرفون الفرق بين الزاوية الحادة و نظيرتها المنفرجة و لا يعرفون كيف يرسمون خريطة جغرافية لبلادهم حتى !

الإدارة المحلية

إمتازت اليمن في العصور القديمة (٥٠٠٠ ق.م – ٥٩٥م) بحضارة عظيمة و فريدة من نوعها في شبه الجزيرة العربية بما قدمته من إنجازات و آثار خالدة عبرت عن عبقرية الإنسان اليمني القديم و جهوده الحضارية التي ساهمت في تطور و رقي الإنسانية على كافة الأصعدة إعتمادا على القاعدة الذهبية (الحاجة أم الإختراع) و نظرا لإفتقار بلاده بالموارد الطبيعية (المياه العذبة و المعادن) و تضاريسها القاسية التي تسببت في صعوبة المواصلات و إنقطاع التواصل بين أبناء شعبه الواحد و قلة الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة ..... و غيرها من المشاكل و الأمور اللاتي دفعته لإختراع و إبتكار الحلول المناسبة لها و الناجعة لتحسين الإقتصاد و الوضع المعيشي المحليين بما يضمن التوزيع العادل بثروات بين السكان و لو بنسبة ٩٥% على أقل تقدير .

من أهم الإنجازات التي ذكرناها آنفا الإدارة المحلية حيث إبتكر أجدادنا القدماء نظاما إداريا فريدا من نوعه في العالم ألا و هو المزاوجة بين الفيدرالية و المركزية مناصفة حيث طبق في دولتي معين و قتبان بنسبة ١٠٠% و في بقية الممالك الأخرى بنسبة ٦٠% ، و هو يعتمد بالأساس على تقسيم

البلاد إلى وحدات إدارية كبيرة تعرف بالمخاليف ، و كل مخلاف مكون محافد ، و كل محفد مكون من مقولة ، و كل مقولة مكونة من إذوائية ، و كل إذوائية مكونة من هجر .

هذه الوحدات الإدارية السالفة الذكر تدير نفسها بنفسها في الشئون المدنية و الضرائب المحلية و إختيار حكامها و رؤسائها دون الرجوع المركز ، أما الشئون العسكرية و القضائية و الأمنية و الخارجية و الضرائب الإتحادية المعروفة بالخراج و العشر فمن إختصاص المركز ، و لكل وحدة من الوحدات الإدارية آنفا لها حكومتها الخاصة و برلمانها الخاص المنتخبين من قبل سكانها أيضا ، فعلى سبيل المثال ، الكبير هو حاكم المخلاف و رئيس وزرائها في آن معا و يتولى شئونها التنفيذية فحسب ، لكنه لا يصدر أي قرار تنفيذي مرتبط بالمخلاف إلا بعد موافقة مجلسها التشريعي و كلاهما منتخب من قبل سكانها بالإقتراع المباشر ، و الأمر ينطبق على حكام المحافد و المقولات و الإذوائيات و الهجر و حكوماتها و مجالسها التشريعية و البلدية حيث يتم إختيار أعضائها بالإنتخاب المباشر مما يبرهن أن أجدادنا سبقوا عصرهم في تبني العملية الديمقراطية بمبادئها و مؤسساتها الراهنة ، و هذا طبيعي لأنه حسب رأي علماء الجغرافيا

التاريخيـــة يتناســـب مـــع بيئتهـــا الـــوعرة و الفقيـــرة بـــالموارد الطبيعيـــة و البشـــرية عكـــس نظيراتهـــا الغنيـــة بـــالثروات الطبيعيـــة و البشـــرية الخاضـــعة بإســـتمرار للحكـــم الـــديكتاتوري و الإدارة المركزيـــة ، و يـــا ليـــت أحفـــادهم إلتزمـــوا بـــنهجهم المبتكـــر فـــي الإدارة المحليـــة لا مـــن قريـــب أو مـــن بعيـــد كمـــا طبقهـــا الفرنســـيون و الإيطـــاليون بحـــذافيره علـــى وحـــداتهم الإداريـــة رغـــم إخـــتلاف المســـميات ، بـــل أنهـــم لـــم يطبقـــوا الأنظمـــة الفيدراليـــة و المركزيـــة المســـتوردة مـــن غيـــرهم بشـــكل ســـليم حيـــث ظلـــوا مصـــرين علـــى أســـاليب متخلفـــة و غبيـــة مـــا أنـــزل الله بهـــا مـــن ســـلطان فـــي الإدارة المحليـــة لـــبلادهم إرضـــاء لحكـــامهم الفاســـدين الـــذين يعيشـــون فـــيهم فســـادا دون أن يحركوا نحوهم منذ القرن العشرين حتى وقتنا الحاضر .

الجسور

كلما تأملت وادي بنا من سفح جبال موطننا الأصلي بالدوير حتى شعرت بالأسى و الغضب من أبناء جلدتي اليمنيين الغارقين في تخلفهم و همجيتهم التي لا تطاق ، إلى هذا الحد غير قادرين على إنشاء جسر واحد فقط على الأقل يربط بين ضفتي الوادي توفيرا لمشقة الإنتقال بينهما للمشاة و سائقي السيارات و الشاحنات بدلا من تركهم عرضة لمخاطر السيول الجارفة و الصعود و النزول من الأعلى إلى الأسفل و العكس صحيح ؟ و حتى عندما ينشئون جسورا حديثة لا تدوم في المناطق الواقعة على ضفاف الأودية أو الجبال الشاهقة فإنهم يقومون ببنائها بشكل عشوائي غير سليم و مخالف للمعايير و المواصفات الهندسية حيث سرعان ما تنهار بسرعة البرق عند أول إمتحان حقيقي تواجهه ، فيضطروا إلى ترميمها مجددا و بنفس الأسلوب الخاطئ السالف الذكر أيضا ما يكشف لنا عدم إخلاصهم و أمانتهم و تفانيهم في أعمال تخدم الناس و البلاد عكس أجدادهم القدماء الذين صنعوا جسورا عملاقة بمنتهى الدقة و الأمانة و الإتقان و مطابقة للمعايير و المواصفات الهندسية السليمة كالجسور التي أنشأها الحميريون (١١٥ق.م – ٥٩٥م) في محافظتي إب و

ذمـــار و الجســـور التـــي أنشـــأتها الملكـــة الصـــليحية أروى بنـــت أحمـــــد الصـــــليحي (١٠٤٩-١١٣٨م) فـــــي محافظـــــة إب و الجســـور التـــي أنشـــأها الرســـوليون (١٢٢٩-١٤٥٤م) بطـــول الـــبلاد و عرضـــها و لا ســـيما فـــي محافظـــات تعـــز و عـــدن و البيضـــاء و إب و صـــنعاء و الحديـــدة و جســـر شـــهارة الـــذائع الصـــيت فـــي محافظـــة حجـــة الـــذي بنـــاه الأئمـــة الزيـــديين (٩٣٠-١٩٦٢م) في القرن السابع عشر الميلادي .

السدود

أثناء مطالعتي للموسوعة اليمنية قبيل أسبوع فوجئت بالكم الهائل من السدود التي أنشأها أجدادنا القدماء و تجاوزت سقف ال ١٢٠ سد و على رأسهن جميعا سد مأرب العظيم ، و ما زاد من دهشتي أكثر أن هذه السدود السالفة الذكر قاموا ببنائهن في زمن قياسي و في وقتها المحدد دون مماطلة أو تسويف أو نهب منظم و مبطن من قبل القائمين أو المديرين المشرفين عليها أو مقاولوها لميزانيتها العامة المحددة و المصادق عليها من قبل البرلمان المعروف بالمسود و وفقا لمعايير و مقاييس هندسية سليمة و مبتكرة و بالغة الدقة تضمن إستمرارها و ديمومتها في العمل على مر العصور حيث مازالت هذه السدود تعمل بكفاءة عالية في حجز مياه الأمطار و سيولها الجارفة ليتم توزيعها لاحقا في ري الأراضي الزراعية و إمداد سكان القرى و المدن المرتبطة بها بمياه الشرب النقية بالتساوي و دون تمييز بينهم .

و من العوامل المساهمة في مد عمرها و كفاءتها التشغيلية أيضا الصيانة الدورية لها و المتمثلة بإزالة الترسبات الطينية و المعدنية و تكدس الطمي العالق على أبواب صرف مياهها المخزنة فيها و توزيع الأشياء المزالة السالفة الذكر على

الحقـول المحيطـة بهـا كـي تسـاهم فـي خصـوبة تربتهـا الغرينيـة و بالتـالي تزيـد مـن إنتاجهـا الزراعـي أضـعافا مضـاعفة مـن مبـدأ رب ضـارة نافعـة كمـا هـو مـذكور فـي نقـش CIH540 و نقـش أبرهـة الكبيـر (CIH565) لتتحـول علـى إثـر ذلـك إلـى حـدائق غنـاء يشـار لهـا بالبنـان تتمتـع بالإكتفـاء الـذاتي و عـامرة بكافـة أصـناف الخضـروات و الفواكـه و الحبـوب و البقوليـات و مـدنا كبـرى مزدهـرة تضـاهي بنموهـا السـكاني المتزايـد و رخائهـا الإقتصـادي المتطـور نظيراتهـا فـي بـلاد الـروم و الفـرس و العـراق و مصـر و بـلاد الشـام كمـا حـدث لمدينـة مـأرب عاصـمة الدولـة السـبئية (٢٥٥٥ق.م – ٢٨٠م) التـي كانـت فيمـا مضـى تتسـع لعشـرة ملايـين نسـمة مـن كـل حـدب و صـوب و الخضـرة و مظـاهر التمـدن الحضـري تعـم أرجاءهـا الصـحراوية بفضـل سـد مـأرب العظـيم قبـل أن هـذه الأراضـي المجـاورة للسـدود علـى يـد الأحفـاد إلـى صـحار جـرداء و قـرى موحشـة يعمهـا الخـراب و الـدمار و ثقافـة التخريـب و التـدمير و القتـل و السـلب و النهـب بـين أطلالهـا القاحلـة بعـدما أهملـوا إرث أجـدادهم العظـيم فـي الزراعـة و الـري لصـالح الثلاثـي المـرح الراسـخ فـي عقليـة الإنسـان العربـي علـى مـر العصـور (العقيـدة + القبيلـة + الغنيمـة) لدرجـة أنهـم لـم يعـودوا قـادرين علـى بنـاء سـد واحـد فقـط بـالمعنى

المفهـــوم و بشـــكل هندســـي ســـليم و يقومـــون بصـــيانته الدوريـــة بمنتهـــى الأمانـــة و الأخـــلاق رغـــم إمتلاكنـــا جيشـــا مـــن المهندســـين المعمـــاريين المتخـــرجين مـــن جامعاتنـــا المحليـــة و الأجنبيـــة و جيشـــا مـــن عمـــال البنـــاء المهـــرة فمـــا بالـــك بمئـــة و عشـــرين ســـد ؟! ألا إني بلغت اللهم فاشهد .

الطرق و الشوارع

ما زالت طرقنا و شوارعنا المعبدة من أسوأ الطرق و الشوارع في العالم أجمع حتى بعد تعبيدها بالأسفلت حيث سرعان ما تتفكك و تتعثر تحت أقدام المشاة و إطارات السيارات بمختلف أحجامها المارون على سطحها المتهالك أصلا لأن القائمين عليه غشاشين و بلا ضمير و غير مخلصين في عملهم قاموا بإنشائها و بنائها بشكل مغشوش و مخالف للمعايير و المقاييس الهندسية سعيا وراء أموالها المرصودة لها دون حياء أو خجل عكس أجدادهم القدماء الذين بنوا طرقا و شوارع عملاقة ما زالت خالدة في أذهاننا جيلا بعد جيل و شاهدة على عظمتهم الحضارية على مر العصور حيث قاموا بإنشائها و تعبيدها بمنتهى الإلتزام و الإخلاص و الأمانة بمواد بناء مبتكرة كالحجارة النارية المرصوصة و الرصاص الذائب و الجص وفق المعايير و المقاييس الهندسية الخاصة بها و وفق أموالها المرصودة لها دون أن يحيدوا عنهما قيد أنملة مما جعل أسطحها و أرصفتها قوية و متماسكة تدوم عبر الأجيال حتى وقتنا الحاضر ، و لعل أطلال شوارع غيمان التي رأيتها بأم عيني خلال رحلة جامعية قبيل تخرجي عام ٢٠٠٧م و بنيت في عهد التبع الحميري أسعد كرب (٣٧٨-٤١٥م) و

أطـــلال طريـــق مبلقـــة الطويـــل و شـــوارع مدينـــة هربـــت التـــي قـــام الملـــوك القتبـــانيين (٣٥٠ ق.م–٢٧٥م) و شـــوارع مـــدينتي جبلـــة و إب فـــي عهـــد الملكـــة الصـــليحية أروى بنـــت أحمـــد الصـــليحي (١٠٤٩–١١٣٨م) لخيـــر دليـــل علـــى ذلـــك ، و فهمكـــم كفايـــة يا سادة يا كرام .

المدن

من يتأمل التخطيط الحضري للمدن في بلادنا خلال عصورها القديمة (٥٠٠٠ ق.م – ٥٩٥م) يدرك مليا بأن أجدادنا اليمنيين القدماء كانوا سباقين في بناء و تخطيط المدن بشكل حداثي و دقيق و سليم حيث تكشف لنا الأطلال الأثرية لمدن تمنع و هوبرت و قنا القتبانية و براقش و نشن و نشق المعينية و مأرب و صرواح السبئية و شبوة الحضرمية و غيمان و صنعاء و عمران الحميرية و نقوش 860 atim و res 3504 معرفتهم الوطيدة بتخطيطها الشبكي قبل نظرائهم الهلينيستيين و المتمثلة بتقسيم المدينة بشكل سليم إلى قسمين رئيسيين يفصلهما شارع رئيسي عام معبد بالحجارة أحدهما يمثل الأحياء الرسمية و الراقية و الآخر يمثل الأحياء الشعبية و المتواضعة ، و كل قسم منهما ينقسم بدوره إلى مباني و مساكن كبيرة و صغيرة يفصل بينهم شوارع فرعية معبدة بالحجارة بها أرصفة مخصصة للمشاة و مجهزة بخدمات المياه و الصرف الصحي و المواصلات و النظافة الأساسية أيضا دون نسيان حصة المتنفسات الطبيعية و المتنزهات و الحدائق و الملاعب من مخططاتها العمرانية ، فضلا عن إلتزام حكوماتها الصارم بقوانينها التشريعية الصادرة

عن برلماناتها المحلية حيث تعتبر مناطق محرمة على المسلحين و حثالة المجتمع الريفي و القبلي و الخارجين عن القانون و دعاة الفتن السياسية و الفوضى الأمنية دخولهم إليها ، علاوة على إلزامها أصحاب المنازل و الدكاكين و المتاجر و المطاعم و العقارات الأخرى بعدم الإستيلاء على أجزاء من الأرصفة المخصصة للمشاة في شوارعهم و عدم الخلط العشوائي في العقارات المخصصة لأصحابها في الحي الواحد حيث لا يجوز إقامة الدكاكين أو المتاجر أو المطاعم أو الشركات في المباني السكنية بل في المباني التجارية المخصصة لها كما تبنى المصانع في المباني الصناعية و المزارع في المباني الزراعية و ليس كما يصنع أحفادهم بمدننا هذه الأيام حيث خلطوا الحابل بالنابل فيها و حولوها إلى كوكتيل من الفوضى العمرانية و الإدارية و الحضرية العبثية التي لا محل لها من الأعراب تكشف لنا بما لا يدع مجالا للشك أنهم لا يعرفون كيفية بناء المدن و إدارتها بالمعنى المفهوم ، و من يتأمل حال صنعاء و إب و تعز و عدن و مأرب و الحديدة هذه الأيام يدرك هذه الحقيقة المخجلة التي يندى لها الجبين .

البنوك

تعتبر البنوك أو المصارف من المؤسسات المالية الهامة اللاعبة دورا محوريا في عمليات التداول النقدي بين الأفراد و الحكومات و مؤسساتهم التجارية و الإقتصادية التابعة لهم على مر العصور أي منذ ظهور لبناتها الأولى و المتمثلة بالبيوت المالية في العراق القديم في الألف الثالث قبل الميلاد و ليس منذ بداية ظهورها الحديث كما هو متعارف عليه في بريطانيا خلال القرن السابع عشر الميلادي .

و من هذا المنطلق ، فقد شهدت اليمن القديم (٥٠٠٠ ق.م – ٥٩٥م) بدورها نهضة مصرفية لم يسبق لها مثيل تزامنت مع حركة إنتعاش إقتصادي منقطع النظير نابعة من تجارتها البرية عن طريق البخور و البحرية عبر موانئها الرئيسية على سواحل البحرين الأحمر و العربي حيث أثمرت عن ظهور مجموعة من البنوك و المصارف الصغيرة و الكبيرة في كل قرية و مدينة على إمتداد أرضها الطبيعية الكبرى تقوم بالعمليات المصرفية و المالية و منح القروض و السلفيات إلى عملائهم التجار مقابل ضمانات تجارية و عقارية و إدخار أموالهم المنقولة لديهم على هيئة ودائع و حسابات بنكية مع الأرباح بفوائد محددة ..... الخ .

ينبع إهتمام اليمنيين القدماء المتزايد بالبنوك و المصارف بمدى إدراكهم العميق بدورها البارز في إدارة دفة أرباح و عائدات مشاريعهم التجارية و الصناعية و الزراعية بشكل عملي سليم حيث تسابق معظمهم بمن فيهم رجال الدولة المدنيين و العسكريين و كهنة المعابد في إنشائهن و إيداع أموالهم بها كما فعل القتبانيين (٣٠٠٠ ق.م – ٢٧٥م) عند إنشائهم البنك المركزي القتباني وسط سوق شمر في عاصمتهم تمنع و الذي تم إفتتاحه عام ١٦٠م في عهد ملكهم نبط عم يهنعم (١٦٠–١٨٠م) و المجانيين (٢٣٥٧–٢٠٠٣ ق.م) في سوق صحار في الألف الثاني قبل الميلاد .

أما أحفادهم فحدث و لا حرج متخلفون و رجعيون حتى النخاع و لا يؤمنون بإختراع إسمه البنوك أو المصارف و لا كيفية إدارتها بشكل سليم و محترف حتى يومنا هذا لأسباب و حجج دينية واهية ما أنزل الله بها من سلطان حتى بعد ظهورها في ربوع العربية السعيدة منذ أربعينات القرن العشرين و بأعداد ضئيلة و نادرة لا تذكر .

الحصان

ظل العديد من المؤرخين الاكاديميين من الشرق و الغرب يصرون على أن الموطن الأصلي للحصان هي آسيا الوسطى و تحديدا كازاخستان في الألف السادس قبل الميلاد ، و انتقل الى العراق في عهد الكاشيين (١٥٩٥-١١٥٧ ق.م) عن طريق ايران لينتقل بدوره من هناك الى شبه الجزيرة العربية في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد حيث قام سكانها العرب بعد استئناسه بالمزج بين نوعيه البربري و الايراني و يكونوا من خلال تزاوجهما معا الحصان العربي ، قبل أن يحدث علماء الآثار السعوديين مفاجأة من العيار الثقيل عام ٢٠١٦م تثبت أن الموطن الأصلي للحصان هو اليمن حيث قامت بعثة أثرية تابعة لجامعة الملك سعود برئاسة د/ابراهيم بن علي الغبان بمسح أثري للمنطقة الممتدة من وادي الدواسر جنوب نجد الى جيزان و أكتشفوا في قرية المقر بمنطقة عسير التي كانت فيما مضى جزء من اليمن قبل عام ١٩٣٤م آثارا و نقوشا قديمة تعود الى العصر الحجري الحديث (١٢٠٠٠-٩٠٠٠ ق.م) تؤكد انها الموطن الأصلي للحصان بكافة أنواعه و ان اليمنيين القدماء منذ ذلك الحين أول من قاموا بتدجينه و ترويضه و تربيته و انتاج سلالات جديدة منه انتقل

بعضها الى شمال شبه الجزيرة العربية في الألف الثاني قبل الميلاد عكس أحفادهم الكسالى الذين لا يهتمون بتربية الدجاج و المواشي بشكل سليم فما بالك بالخيول ؟

الديمقراطية

عندما نتحدث عن الديمقراطية فإننا لا نقصد من ورائها معناها السطحي المبهم (حكم الشعب للشعب) بل نظيره الإصطلاحي بأنها عبارة عن مجموعة من القوانين و التشريعات الصادرة عن السلطة التشريعية التي تنظم الحريات العامة و الخاصة على حد سواء و يتم تطبيقها على الجميع بلا إستثناء ، و هذا ما فطن إليه أجدادنا اليمنيون القدماء و لا سيما القتبانيين منهم عند صياغتهم المبتكرة لديمقراطيتهم البرلمانية المناسبة لبلادهم و بيئتها المحلية و ثقافة سكانها السياسية بغية توفير مشاركة أوسع لأفراد الشعب بكافة مشاربهم في صنع القرار السياسي و الرقابة التشريعية على أجهزة الدولة المدنية و العسكرية و منحهم المزيد من الحريات العامة و الخاصة شريطة ألا تتجاوز الخطوط الحمراء المتمثلة بسيادة الدولة و النظام و القانون و وحدة الوطن و سلامة أراضيه حيث تمخض عنها نظاما ديمقراطيا فريدا من نوعه يتكون من السلطات التالية :

١. السلطة التنفيذية = و يرأسها رئيس الدولة المعروف بالملك أو التبع عند الحميريين بينما نائبه أو ولي العهد بدوره يرأس الحكومة أو مجلس الوزراء و كلاهما من الأسرة

الحاكمة ، فالأول يدير الشئون الداخلية و الخارجية بمساعدة و إستشارة الثاني ، و كلاهما يتم إختيارهما من قبل المسود و لا يحق لهما إصدار أي قرار أو قانون رسمي إلا بموافقة الأخير .

٢. السلطة التشريعية = و يرأسها رئيس المسود (مجلس الأشراف) و يتم إختيار أعضائه بالإنتخاب من قبل الشعب حيث يمنح الثقة للحكومة و يمارس الرقابة على السلطة التنفيذية و إستجواب وزرائها و إصدار التشريعات و القوانين بالأغلبية المطلقة .

٣. السلطة القضائية = و يرأسه رئيس المجلس الإستشاري للدولة و هو بمثابة المحكمة الدستورية في وقتنا الحاضر و يتولى الفصل بين الملك أو رئيس الحكومة و المسود أو العكس و ينظر في الدعاوى و الطعون المقدمة من أعضاء المسود أو المواطنين ضد القوانين الصادرة من قبل السلطتين التنفيذية و التشريعية و مدى مطابقتها لمواد الدستور و بنوده .

و تقوم هذه السلطات السالفة الذكر بواجباتها الرسمية المحددة بموجب نصوص الدساتير اليمنية القديمة المنظمة

لهـا و لا سـيما الدسـتور القتبـاني الـذي أصـدره الملـك هـوف عـم في القرن الثالث قبل الميلاد .

هـل تصـدقون يـا سـادة يـا كـرام بـأن الكويـت و إندونيسـيا و البحـرين و الإمـارات يطبقـون هـذا النظـام الـديمقراطي الفريـد مـن نوعـه بحـذافيره حتـى يومنـا هـذا بينمـا أحفـاد حضـارة عمرهـا خمسـة آلاف سـنة لـم يتبنـوه و لـم يلتزمـوا بـه قيـد أنملـة مفضـلين عليـه أنظمـة ديمقراطيـة هزليـة بعيـدة عـن جـوهر الديمقراطيـة شـكلا و مضـمونا و يتجـاوزون مـن خلالهـن سـيادة الدولـة و النظـام و القـانون و وحـدة الـوطن و سـلامة أراضـيه بشـكل عبثـي و عشـوائي ؟ فضـلا عـن تبنـيهم لأنظمـة ديمقراطيـة مـن الخـارج لا يفقهونهـا البتـة و لا تتناسـب مـع ثقـافتهم السياسـية لا مـن قريـب أو من بعيد ؟

المرأة

شتان بين معاملة أجدادنا اليمنيين القدماء للنساء و معاملة أحفادهم لهن ، فالأول كان يعامل المرأة بغاية التحضر و الإحترام و التقدير وصلت آلى حد منحه حقوقها كاملة أسوة بشقيقها الرجل منذ الألف الأول قبل الميلاد شملت حقها في التعليم و العمل و الترشيح و التصويت في إنتخابات المسود و البرلمانات المحلية و البلدية و الميراث و حمايتها من التنمر و العنف الجسدي الذكوري و ختان الإناث و فحص العذرية و وأد البنات للحفاظ على شرفها كما يزعمون ..... الخ (نقوش هرم ١٧ ، ١٨ ، ٢٠) ، كما أنه أيضا فتح الباب لها على مصراعيه أمام توليها للمناصب القيادية صغيرها كان أم كبيرها في الدولة و أجهزتها المدنية و العسكرية دون أن يشعر الرجال بغضاضة في ذلك كما حدث مع ملكة سبأ بلقيس المذكورة في القرآن الكريم (سورة النمل) التي تولت رئاسة الحكومة في عهد أبيها الهدهاد أيضا ، و مثلما حدث أيضا مع ملكة حضرموت السبئية الأصل حلك ملك و رئيسة الحكومة في عهد زوجها الملك العز يلط في القرن الثالث الميلادي و المذكورة في النقوش المسندية (نقوش جام ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٧٤١) .

أمـــا الثـــاني فـــلا يعتـــرف بـــالمرأة أصـــلا لأنهـــا مـــن وجهـــة نظـــره المتخلفـــة ناقصـــة عقـــل و ديـــن و مخلـــوق حقيـــر مثلهـــا مثـــل أصـــحاب الخمـــس (المزاينـــة ، الدواشـــين ، الخـــدم) و بالتـــالي لا يعطيهـــا حقوقهـــا كاملـــة أو حتـــى الحـــد الأدنـــى منهـــا تحـــت ذريعـــة الـــدين الإســـلامي و شـــريعته المتحجـــرة و العـــادات و التقاليـــد القبلية العفنة التي عفا عليها الزمن .

الموسيقى

منذ أن إستمعت لهذه السيمفونية الموسيقية الحميرية التي يعود تاريخها إلى ٣٥٠م و قام بنشرها أحد أقربائي عبر صفحته في الواتساب مطلع شهر فبراير الماضي حيث قامت أوركسترا برلين بعزفها تحت قيادة المايسترو و الموسيقار اليمني محمد القحوم حتى فوجئت بإيقاعاتها الموسيقية الراقية و ألحانها العذبة عذوبة الفرات القريبة من الموسيقى اللبنانية الحديثة التي صاغها الأخوان رحباني خلال خمسينات القرن العشرين ، الأمر الذي دفعني للبحث بين سطور الكتب و مواقع الأنترنت عن الموسيقى و الغناء لدى أجدادنا اليمنيين القدماء حيث توصلت للنتائج التالية :

١. كانوا ذواقين ذوقا رفيعا من الدرجة الأولى للموسيقى و الأغاني المحلية و الأجنبية على حد سواء .

٢. قدموا الموسيقى و الأغاني التراثية و الشعبية بشكل راق و جميل و عذب يخلب الألباب .

٣. أجادوا العزف على الآلات الموسيقية السائدة في عصرهم بمهارة و إحترافية فنية عالية منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

٤. إخترعوا الآت موسيقية فريدة من نوعها في الموسيقى الشرقية كالطنبور و الربابة و القنبوس و قيثارة النفخ و الناي و المزمار .

٥. إخترعوا أيضا أنواعا من الموسيقى الشرقية مازالت سائدة حتى وقتنا الحاضر كالموسيقى الحميرية و الحنفية و المدنية و موسيقى الدان الحضرمي .

٦. لم يحتقروا الموسيقى و لا الغناء أو يحرمونهما على أنفسهم بإسم الدين أو العادات و التقاليد ، كما أنهم لم يحتقروا من يمارسونهما من الموسيقيين و الموسيقيات ، الملحنين و الملحنات و العازفين و العازفات بغض النظر عن طبقاتهم الإجتماعية المنتمية لعامة الشعب أو الملوك و الأمراء أو رجال الدين أو الأعيان و النبلاء و القضاة .

٧. أنشأوا العديد من المدارس و المعاهد و الفرق المتخصصة في الموسيقى و الغناء الراقيين بطول البلاد و عرضها .

و يا ليت الأحفاد ساروا على نهج أجدادهم في عشقهم إن لم نقل حبهم الراقي للموسيقى و الغناء بل حاربوهما و إحتقروهما و إحتقروا من يمارسونهما أو يدرسونهما و

حرموهما على أنفسهم تحت ذريعة الدين الإسلامي و العادات و التقاليد الإجتماعية العفنة و دول الجوار ردحا من الزمن ، و حتى عندما قرروا الإعتراف بهما على مضض بضغط من دول الجوار كان تذوقهم لهما بمنتهى الرداءة و الإنحطاط و الإبتذال و العبث الفني من الدرجة الأولى حيث قدموا موسيقاهم و أغانيهم الشعبية و التراثية بشكل سئ للغاية و مشوه و خال من الذوق الفني الراقي عبر مجموعة من المطربين و الملحنين و العازفين الرديئين الذين يعزفون على الآت الموسيقية القديمة و الحديثة على حد سواء التي بحوزتهم عزفا رديئا خال من الإحترافية و المهارة العالية .

الصناعة و الزراعة

كان أجدادنا اليمنيون القدماء مثل نظرائهم العراقيين و المصريين يقدرون أهمية ٩٠% من ميزانية الدولة الرسمية و أموالها العامة و عائداتها الضريبية و الجمركية على رباعي التنمية (التعليم – الصحة – الزراعة – الصحة) لإقامة دولة قوية البنيان متكاملة الأركان يتمتع مواطنوها بعقل سليم و جسم سليم في آن معا يأكلون مما يزرعون و يلبسون مما يصنعون .

و من هذا المنطلق شهدت بلادهم السعيدة نهضة زراعية و صناعية منقطعة النظير جعلتهم يحققون إكتفاء ذاتيا في الحبوب و البقوليات و الخضروات و الفواكه و المواشي و الدجاج ، و يصنعون كافة السلع الإستهلاكية الضرورية و الكمالية على حد سواء داخل الوطن أم خارجه من الإبرة إلى السفينة صناعة محلية مبتكرة ١٠٠% ، و ما فاض من إنتاجهم الزراعي و الصناعي عن حاجة السوق المحلية قاموا بتصديره إلى الخارج من بينها العسل و العنب اللذين يضرب بهما المثل و الأسلحة الخفيفة و الثقيلة (و على رأسها السيوف اليمانية و الدروع و النصال الحضرمية) حيث كانوا من أكبر المصدرين لها في العالم آنذاك ، فضلا عن إنشائهم

آلاف و آلاف المصـــانع المجهـــزة بالمـــدارس و المستشـــفيات و مراكـــز الأبحـــاث العلميـــة و وســـائل المواصـــلات و المرافـــق الخدميـــة و الســـكنية و الإداريـــة الخاصـــة بهـــا فـــي القـــرى و المـــدن بطـــول الـــبلاد و عرضـــها ، و هـــذا مـــا لـــم يفهمـــه أحفـــادهم الأغبيـــاء الكســـالى الحفـــاة العـــراة الـــذين يعشـــقون الـــربح الســـريع دون تعـــب أو جهـــد يـــذكر و يـــأكلون مـــن زرع غيـــرهم و يلبســـون مـــن صـــنع غيرهم دون حياء أو خجل .

الفلك

من إنجازات أجدادنا اليمنيين القدماء الحضارية ما يتعلق بإبتكاراتهم العلمية في حقل الفلك حيث شملت إنشائهم العديد من المراصد الفلكية العالية الدقة في المناطق ذات الأجواء المناسبة للرصد الفلكي بطول البلاد و عرضها لمراقبة و رصد حركة النجوم و الكواكب و الأجرام السماوية بمنتهى الدقة الحسابية أولا ثم تعليم و تخريج علماء الفلك المرموقين البارعين في علوم الرياضيات المعاصرة و الحساب و الفيزياء و الجغرافيا لتثمر جهودهم المضنية في هذا المجال عن إكتشافهم كوكبي الزهرة (عشتر) و زحل و نجم الشعرى اليمانية مما جعل مراصدها الفلكية و علمائها المحترفين معتمدين حصريا لدى سكان الحجاز و نجد في حساب الأيام و الشهور و الأعوام عندهم ، فضلا عن صياغتهم للتقاويم القمرية و الشمسية الفائقة الدقة في حساباتها الرياضية المعقدة و المتخصصة في كافة أمور حياتهم اليومية بمن فيها الزراعة و التجارة و الملاحة البحرية و الأبراج و قراءة الطالع و المناخ و الأرصاد الجوية ، و كان آخرها التقويم الحميري الصادر عام ١١٥ ق.م حيث يتكون من الشهور التالية :

١. الدثا = يناير

٢. الحلة = فبراير

٣. المعون = مارس

٤. الثبتن = إبريل

٥. المبكر = مايو

٦. القياظ = يونيو

٧. المذران = يوليو

٨. الخراف = أغسطس

٩. العلان = سبتمبر

١٠. الصراب = أكتوبر

١١. المهلة = نوفمبر

١٢. الآلان = ديسمبر .

إلى جانب توصلهم لحركة الفصول الأربعة الخاصة ببلادهم و مناخها الموسمي المنتمي للمنطقة الحارة في العالم بعدما أجروا تجارب علمية و حسابات رياضية و فلكية و جغرافية معقدة تمخض عنها ما يلي :

١. الـدثا = الربيـع (يبـدأ مـن شـهر مـارس و ينتهـي فـي شـهر مـايو) .

٢. سعسـع = الصـيف (يبـدأ مـن شـهر يونيـو و ينتهـي فـي شـهر أغسطس) .

٣. خـراف = الخريـف (يبـدأ مـن شـهر سـبتمبر و ينتهـي فـي شـهر نوفمبر) .

٤. آلان = الشـتاء (يبـدأ مـن شـهر ديسـمبر و ينتهـي فـي شـهر فبراير) .

هـذا مـا حققـه أجـدادنا مـن إنجـازات علميـة فـي علـم الفلـك عكـس أحفـادهم الغيـر قـادرين حتـى علـى تحديـد موعـد قـدوم شـهر رمضـان المبـارك و حسـاب غيـره مـن شـهور التقـويم الهجـري الغيـر دقيـق حسـابيا و لا فلكيـا الـذي تبنـوه عوضـا عـن تقـويمهم الحميـري إرضـاء لـدول الجـوار و نظيراتهـا المتطرفـة إسـلاميا بشـكل علمـي سـليم رغـم تطـور الآلات و الأدوات الفلكيـة الخفيفـة منهـا و الثقيلـة و توافرهـا لـدى الجميـع بإسـعار مناسـبة ، فضـلا عـن عـدم وجـود مرصـد فلكـي حـديث واحـد فـي طـول الـبلاد و عرضـها لأن وجـوده مثـل علـم الفلـك بالنسـبة لهـم حسـب عـديم و مضـيعة للوقـت و مخـالف للـدين الإسـلامي و

يعتبر من يمارسه كافر حتى النخاع متناسين أن أول من إخترع التلسكوب هو رجل دين يمني مسلم يدعى إبن العنز (١٥٩٢-١٦٤٤م) عام ١٦١٦م .

المسرح

مازلت أتذكر ما قاله لنا أستاذ اللغة العربية في مدرسة النهضة خلال دراستنا المرحلة الثانوية هناك صالح مرعي عن فن المسرح عندما وصفه بأنه شر و بلية و طامة كبرى على المسلمين حلت عليهم بعدما إستوردوه من الغرب الكافر رغم أنه يعلم علم اليقين بأنه فن شرقي صميم ظهر لأول مرة في مصر القديمة منذ الألف الخامس قبل الميلاد .

بداية ، إعتبرت ما صرح به للتو أمامنا نابع من تطرفه الإسلامي البحت قبل أن أكتشف مع مرور الزمن أن معظم أبناء جلدته بكافة مشاربهم يشاطرونه نفس الرأي زورا و بهتانا بإعتباره من الفنون المحرمة في الدين الإسلامي مثله الرسم و الفن التشكيلي و الغناء و الموسيقى و النحت و الرقص و التمثيل ؟!!

على العكس منهم تماما ، كان أجدادهم اليمنيين القدماء بكافة طبقاتهم الإجتماعية العليا و الدنيا على حد سواء ج أكثر تطورا و تحضرا و إعتدالا و إنفتاحا و رقيا منهم في حبهم و تذوقهم للفن بكافة أنواعه و على رأسهم أبو الفنون المسرح حيث إهتموا به أيما إهتمام بعدما جعلوه ركنا أساسيا من العادات و التقاليد الثقافية عندهم و طقسا من طقوس

العبـــادة الوثنيـــة لـــديهم ، فمـــن هـــذا المنطلـــق أقـــاموا لـــه المســـارح فـــي القـــرى و المـــدن بطـــول الـــبلاد و عرضـــها و شـــكلوا العديـــد مـــن الفـــرق التمثيليـــة المحترفـــة لتقـــدم علـــى خشـــباتها الحجريـــة عروضـــها و مســـرحياتها الدراميـــة و التراجيديـــة و الكوميديـــة و الغنائيـــة و الموســـيقية و الراقصـــة و التجريبيـــة التـــي تخاطـــب ضـــمائر الجمهـــور الوجدانيـــة و أحاسيســـه المرهفـــة و قضـــاياه الجادة بشكل راق و هادف دون زيادة أو نقصان .

الدين

لم يكن يقصد رسولنا الكريم (ص) بعبارة (الإيمان يمان و الحكمة يمانية) المذكورة بين سطور حديثه الشريف بأن اليمنيين حكماء حتى النخاع بل أن سر قوتهم في إستخدام عقلهم لفهم أمور دينهم و دنياهم بشكل سليم ، و هذا ما كان عليه أجدادنا اليمنيين القدماء من حكمة عالية تمثلت في إستخدام عقولهم لإبتكار الحلول المناسبة لمشاكلهم حتى و لو كانت مخالفة لنصوص الدين طالما إلتزمت بجوهره الحنيف حيث كان فهمهم له فهمها عقلانيا معتدلا خال من التطرف المطلق أو الإنفتاح العقيم بغية خدمة مصالح الناس أولا ثم خالقهم عز و جل ثانيا بما يتناسب مع متطلبات العصر و ظروف واقعهم المعاش الزمانية و المكانية ، و من هذا المنطلق فهموا الحلال و الحرام من منطق الأشياء المفيدة و الضارة للناس بعد خوض التجارب العلمية لهن و ليس وفقا للأحكام الدينية و الفقهية العبثية التي تحرم الأشياء المفيدة للناس و تحلل نظيراتها الضارة لهم ، فضلا عن إعترافهم الحذر بالآخر الذي لا ينتمي لدينهم و سماحه له بممارسة طقوسه الدينية بين ظهرانيهم بحرية تامة دون أن يخشوا شيئا منهم كما فعلوا مع اليهود و المسيحيين و أتباع

التوحيد الحميري في عهد الحميريين (١١٥ق.م – ٥٩٥م) ، سيما و أنهم لم يجعلوا الدين في خدمة السياسة أو تجنيد نصوصه لغايات دنيئة في نفس يعقوب ، عكس أحفادهم و لا سيما أتباع الأقلية الزيدية منهم الغارقين في تطرفهم الديني الإسلامي الذين ألغوا كلمتي الحكمة و التفكير العقلاني من قاموسهم الجماعي إلى الأبد لصالح الإنغلاق الديني المتحجر و حل المشكلة بمشكلة أكبر و عدم الإعتراف بالآخر الغير المسلم و الإضطهاد العنصري لأتباعه و عدم السماح لهم بممارسة طقوسهم الدينية و جعل الإسلام في خدمة السياسة و جعله أضيق من عنق الزجاجة لأتفه الأسباب .